



في ظل استمرار حالة "الاستعصاء" السياسي، التي تؤكد تطوراتٍ عدّة، بأنّها تتصدر حالياً المشهد السوري، يبدو أنّ الأوضاع الميدانية قد تتجه نحو مزيدٍ من التصعيد قريباً. وتؤكد رسائل مختلف الأطراف السياسية الصادرة حديثاً، أن نبرة التهديد والتسخين على الأرض، عادت لترتفع مجدداً، في ظل خفوتٍ واضح في أروقة مسار الحل السياسي المُجمد.

وهو ما يزيد من ترنج الهدنة التي تنهي بعد غد الجمعة شهراً الثالث بعدها كانت قد أعلنت بقرار مجلس الأمن 2268، وبدأت فجر 27 فبراير/شباط الماضي، لكن منذ اليوم الأول للهدنة، كان واضحاً أنّ النظام السوري مصمم على خرقها في مناطق عدّة، ولم تك تمضي أسابيع معدودة حتى بات واضحاً أنّ الهدنة أصبحت باللغة الهشاشة وسط تصميم دولي وأمريكي على رفض السماح بإعلان انهيارها رسمياً، وقد أدى هذا الأمر بعد ذلك، وتحديداً بعد قرابة شهرين على بدء تطبيقها، إلى بدء العمل بما بات يُعرف بـ"نظام التهدئة" الذي أعلنت عنه موسكو في التاسع والعشرين من إبريل/نيسان.

وتشمل حينها مناطق شمالي اللاذقية وريف دمشق، لفترات متراوحة بين 48 و72 ساعة، وأعلن عن هذه التهدئات الجزئية والمحددة بمناطق جغرافية بعينها عدة مرات لاحقاً، في محاولة لمنع انهيارها كلياً، وهو الأمر الذي حاولت روسيا تكراره في داريا والغوطة الشرقية.

قفص مناطق سكنية:

المعارضة السورية، ورداً على استمرار النظام في عملياته العسكرية وقصفه للمناطق السكنية أثناء الهدنة، وعدم اكتراشه بتنفيذ ما نصت عليه البنود (الإنسانية) 12 و13 و14 من قرار مجلس الأمن الدولي 2254، حذرت يوم الأحد الماضي، في بيان مشترك أصدره 39 فصيلاً مسلحاً، أن اتفاق "وقف الأعمال العدائية"، أصبح بحكم المنهار، و"العملية السياسية" باتت في مهب الريح جراء أفعال النظام، التي تجعل الفصائل تفك بالانسحاب من أية عملية سياسية عقيمة ليس لديها أية آليات للتطبيق، وتعطي غطاء لاستمرار بشار الأسد وحلفائه بارتكاب المزيد من المجازر".

هذه اللهجـة التصعـيدية من قبل المـعارـضـة تـزـامـنـتـ معـ شـنـ النـظـامـ هـجـمـاتـ فيـ مدـيـنـةـ دـارـيـاـ بـرـيفـ دـمـشـقـ الجنـوـبـيـ الغـرـبـيـ،ـ وـقـدـ أـمـهـلـتـ الفـصـائـلـ المـوـقـعـةـ عـلـىـ الـبـيـانـ الـأـخـيـرـ،ـ الـأـطـرـافـ الـرـاعـيـةـ لـاتـفـاقـ "ـوـقـفـ الـأـعـمـالـ عـدـائـيـةـ"ـ،ـ ثـمـانـيـاـ وـأـرـبعـينـ سـاعـةـ لـإنـقـاذـ ماـ تـبـقـىـ مـنـ،ـ وـإـجـبارـ نـظـامـ الأـسـدـ عـلـىـ الـالـتـزـامـ بـهـ وـوـقـفـ هـجـمـاتـ عـلـىـ مـدـيـنـةـ دـارـيـاـ وـمـنـاطـقـ غـوـطـةـ دـمـشـقـ الشـرـقـيـةـ،ـ مـهـدـدـةـ بـاستـخـادـ كـلـ إـجـرـاءـاتـ الـمـتـوـفـرـةـ،ـ وـعـلـىـ جـمـيعـ جـبـهـاتـ الـقـتـالـ،ـ إـلـىـ حـينـ وـقـفـ نـظـامـ الأـسـدـ هـجـمـاتـهـ وـعـوـدـةـ قـوـاتـهـ إـلـىـ مـوـاقـعـهـاـ قـبـلـ بـدـءـ الـهـجـومـ عـلـىـ دـارـيـاـ فـيـ الـرـابـعـ عـشـرـ مـنـ الشـهـرـ الـحـالـيـ".

لكن قبل انتهاء مهلة المعارضة هذه، صدر موقف من وزارة الدفاع الروسية مساء أمس الأول الاثنين، دعا لـ"فرض نظام التهدئة في الغوطة الشرقية ومدينة داريا لمدة 72 ساعة اعتباراً من الساعة 12 ليلاً من يوم 24 مايو/أيار، بغرض بسط الاستقرار في المنطقة"، لكن حديث موسكو هذا، لمّح إلى إمكانية التوصل من أي اتفاق، عندما ذكر أن "مسلحي تنظيم جبهة النصرة الإرهابي مستعدون لإطلاق هجوم واسع على مواقع القوات السورية في منطقة الغوطة الشرقية وريف العاصمة دمشق".

ترتيب قوات:

وأزعم رئيس "مركز حميميم لتنسيق المصالحة بين أطراف الأزمة السورية" الجنرال سيرغي كورالينكو، أن "المجموعات المسلحة التابعة لجبهة النصرة وفصائل المعارضة التي انضمت إلى التنظيم، قامت بإعادة ترتيب قواتها واستكمال حاجتها من الأسلحة والذخائر، وهي مستعدة الآن لتنفيذ عمليات هجومية"، مشيراً إلى أن "صحة هذه المعلومات تدل عليها معطيات العسكريين الروس والاستخبارات السورية".

وفيما استبعد ناشطون في الغوطة، في حديث مع "العربي الجديد" أن تكون "النصرة" قادرة على شنّ مثل هذا الهجوم الذي تحدث عنه الروس، معتبرين أنها لا تملك الإمكانيات الالزمة لمثل هذه العمليات، خصوصاً في ظل ما تشهده الغوطة الشرقية هذه الأيام من نزاعاتٍ بين أكبر فصائلها، فإنَّ كلام المسؤول العسكري الروسي لم يقتصر على الأوضاع بريف دمشق، بل توسع في حديثه لمناطق شمالي سوريا.

إذ أشار إلى أن "تنظيم جبهة النصرة ينجز عملية تشكيل مجموعة قتالية تضم حوالي 6 آلاف من مسلحيه في محافظة حلب من أجل محاصرة قوات الجيش السوري في محيط المدينة، من خلال شن هجوم واسع في جنوبها وقطع الطريق إلى مدينة نبل شماليّاً، معتبراً أن "تأزم الوضع في عدد من مناطق سوريا" جاء كـ"نتيجة لسعى تنظيم جبهة النصرة والمجموعات المرتبطة به لإفشال الهدنة".

وكان لافتاً في كلام سيرغي كورالينكو من مطار حميميم، ربطه بين "المجموعات المسلحة التابعة لجبهة النصرة"، و"فصائل المعارضة التي انضمت إلى التنظيم"، وتوجيهه طلباً "لجميع الأطراف المعنية" بـ"وقف الأعمال الهجومية وعمليات القصف والابتعاد عن المناطق التي تقع تحت سيطرة جبهة النصرة"، قائلاً إن "القوات الجوية الروسية ستواصل شن ضربات على موقع جبهة النصرة".

محاولات فاشلة:

ويشير كلام الضابط الروسي الذي يضطلع بمهام سياسية في سوريا، إلى أن موسكو تواصل محاولاتها لربط كافة الفصائل العسكرية السورية المعارضة، التي لا تتماشى مع توجهاتها ومخططاتها في سوريا، بـ"جبهة النصرة" كي تشرع عن استهدافها، كما أن توجيهه الطلب لـ"كافحة الأطراف المعنية" بضرورة "الابتعاد عن المناطق التي تقع تحت سيطرة جبهة النصرة"، التي "ستواصل القوات الجوية الروسية شن ضرباتٍ فيها"، يحمل تهديداً مبطّناً بأنَّ كافة هذه الأطراف، ستعود مجدداً لتكون هدفاً لغاراتِ روسية جديدة، إذا نفذت الفصائل الموقعة على بيان التلویح بالانسحاب من العملية السياسية، تهديدها.

وعلّق كورالينكو على بيان المعارضة الأخرى، واعتبره "محاولة لإلقاء المسؤولية عن انتهاكات نظام وقف إطلاق النار على القوات الحكومية"، أما الولايات المتحدة الأميركيّة، فبدت كأنها تسعى للحفاظ على الوضع القائم، الذي لا تتوقف فيه المعارك (ولأنَّ هدأت وتيرتها) ولا تنتهي فيه الهدنة التي أصبحت باللغة الهشّاشة في مناطق عدّة، محرّزةً المعارضة من خطورة التخلّي على الهدنة.

وجاء الخطاب الأميركي هذه المرة على لسان مبعوث واسطنطن الخاص إلى سوريا مايكل رانتي، إذ خاطب "فصائل المعارضة السورية المسلحة"، قائلاً: "اطلعوا على بيانكم بشأن الهدنة وقلّقكم بالغ حيال الوضع في داريا والمناطق الأخرى

في سوريا، ونرجو أن تتأكدوا أننا نشارككم بوعاث قلقكم وقد أثرناهااليوم بشكل مباشر مع المسؤولين الروس، إلا أننا لا نعتقد أن التخلي عن الهدنة من شأنه أن يخدم وضع الفصائل المسلحة، أو الآلاف من عامة السوريين الذين يعانون جراء الهجمات العنيفة لنظام الأسد وداعميه".

المسؤول الأميركي لَخَصَّ موقف بلاده في هذا السياق بالقول، إن "الهدنة، وعلى ما هي عليه من وضع غير مثالى، توفر قدرًا من الحماية، كما أنها وطبقاً لبنود تفاهمنا مع روسيا، تتيح لنا المطالبة بالحماية للفصائل الملزمة بها، وإن الفصائل المسلحة إذا ما انسحبت من الهدنة، فإن الأسد وداعميه سيدعون أن ذلك يعطيهم رخصة لمهاجمة كل قوى المعارضة من دون اعتراض دولي"، معتبراً أن "التخلي" عن "الهدنة" سيكون الآن "خطاً استراتيجياً".

يكشف الحديث الأميركي هذا عن حرص واشنطن على الحفاظ على الوضع الراهن بكلفة جوانبه، والحلولة دون حصول انفجارٍ في مجرى الأحداث، خصوصاً الميدانية منها، وهو بذلك لا يبتعد عن الموقف الروسي الأخير، الذي يمسك العصا من المنتصف، ما بين دعوات جزئية بمناطق محددة للتهيئة، وتهديدٍ في الوقت نفسه لـ"كافة الأطراف المعنية" بإمكانية استهدافها جوياً، من مدخل اتهامها بالتقارب مع "جبهة النصرة" أو تداخل مناطق نفوذها، وهي إشكالية كانت المعارضة السورية حذرت منها، منذ إقرار الهدنة في 27 فبراير/شباط الماضي.

إذ إن الهدنة كانت استثنىت مناطق تواجد تنظيم "داعش"، وهي معروفة ولا يوجد تداخل للنفوذ فيها مع مناطق المعارضة، كما استثنىت أيضاً مناطق تواجد "جبهة النصرة"، وهو ما دعا المعارضة حينها للتعبير عن قلقها، من إمكانية استخدام هذه الإشكالية، كمدخلٍ لضرب أي منطقة للمعارضة، بحجة تواجد "النصرة".

العربي الجديد

المصادر: